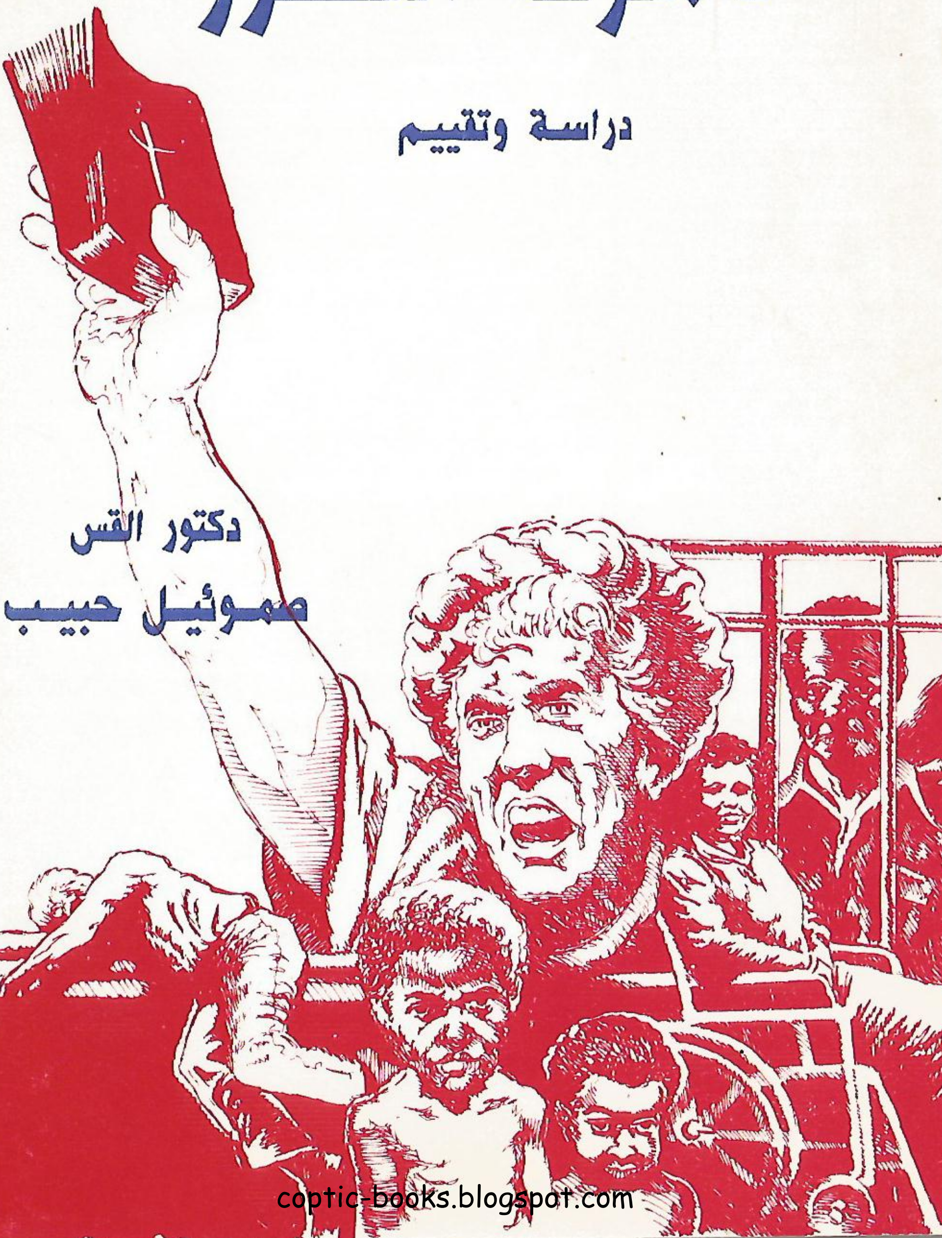
دار الثقافة

لاهوت التحرر

دراسة وتقييم



دكتور القس
صموئيل حبيب

لاهوت التحرر

دراسة وتقييم

دكتور القس صموئيل حبيب

دار الثقافة

طبعة ثانية

لاهوت التحرر

صدر عن دار الثقافة - ص. ب. ١٢٩٨ - القاهرة

١٠. / ٥.٦ طـ٢ / ٣ - ٦ / ٩١ - ٩٤

رقم الايداع بدار الكتب : ٢٣٤٧ / ٩٤

دولى: × - ١٩٦ - ٢١٣ / ٩٧٧

طبع بمطبعة سيوبرس

مقدمة الدار

كانت الحاجة ملحة لدخول الكنيسة إلى معترك الحياة العملية مع الإنسان المطحون، فقد وصلت المعاناة في أمريكا اللاتينية إلى حد قد لا يصدقه عقل. مما دعا الكنيسة للنزول إلى الواقع الإنساني بعد أن كانت تقف بعيداً تسدي بعض النصائح.

مما حدا بالمفكرين الذين يعلمون هذا الواقع المؤلم للإنسان أن يحثوا على إيجاد حلول عملية من واقع كلمة الله. فظهرت كتابات تحت عنوان "Liberation Theology" أى "المفهوم اللاهوتي للتحرر"، أو ما يسميه البعض "لاهوت التحرر" والذي يظهر به هذا الكتاب في إشارة مباشرة إلى تلك التجربة التي ظهرت في أمريكا الجنوبية، لتعريف القاريء العربي بها.

دار الثقافة

فى هذا البحث

الموضوع | صفحة

تمهيد

ظهرت نظرية لاهوت التحرر Liberation Theology فى الحقبة الأخيرة، واحتلت مكانة كبيرة فى العالم أجمع، مما شد إليه اهتمام علماء اللاهوت، ورجال السياسة والاجتماع والاقتصاد. وذلك لأن النظرية تناقش القضايا المطروحة للحوار والدراسة فى كافة مجالات الفكر.

بدأ لاهوت التحرر من أمريكا اللاتينية. فإنه علاوة على أنه لاهوت نشأ فى تربة العالم الثالث، المعروف بالعالم النامى - أو بتعبير آخر، العالم المتخلف - فهو لاهوت الواقع الذي يعيشه العالم الثالث. فقد كان المتعارف عليه فى القرون الأخيرة أن اللاهوت يظهر فى دول العالم الأول أو الثانى.

وخلال السبعينات والثمانينات، صار التمييز واضحاً بين دول العالم الأول والعالم الثانى من جانب، ودول العالم الثالث من جانب آخر. يستخدم لهذه المواصفات تعبير آخر: دول الشمال، ودول الجنوب، أى الدول الغنية فى الشمال، والدول الفقيرة فى الجنوب.

وكان من العوامل الأساسية التى دفعت إلى انتشار هذا اللاهوت، إهتمام العالم بقضايا الفقر والجوع التى تحتل مكانة كبيرة فى دول العالم الثالث. لذا جاء لاهوت التحرر، يتحدث عن مسئولية الدين تجاه هذه القضايا، وتجاه

المحرومين والمطحونين فى البشرية.

ولاشك أنه يقف فى الخلفية، أن الكنيسة - عبر فترة من الزمن لم تهتم بالفقراء، ولم تعطهم مكانة خاصة لا فى خدمتها ككنيسة، ولا بين صفوفها. وقد اتهمت الكنيسة - فى بعض الدول - بأنها كنيسة الأغنياء. كما اتهمت الكنيسة ذاتها، بالثراء الفاحش، الذى يتمرغ فيه رجال الدين، دون اكتراث بالفقراء الذين يعانون من شتى المشكلات.

كما يقف أيضاً فى الخلفية، أن اهتمام الكنيسة - عبر فترة طويلة من الزمن - اتجه إلى الاهتمام بالعبادة، والممارسات الطقسية، وأهمل الواقع الأليم الذى يعيشه عدد ضخم من البشر. وقد جاء لاهوت التحرر يوقظ الكنيسة وينبهها إلى مسئوليتها الجسيمة من نحو الفقراء.

يضاف إلى ذلك، أن العالم المعاصر - رغم أنه فى القرن العشرين - لا يزال يرزح تحت الأحكام العسكرية، والأساليب الدكتاتورية فى الحكم، ولا يزال العديدون من البشر يعانون من المظالم، التى تهدر كرامتهم الإنسانية، وتعطى المجد والسلطة لقلة حاكمة غنية. فجاء صوت لاهوت التحرر، يطالب بتحرير المظلومين، الذين يعانون لأنهم هامشيون فى مجتمعاتهم ودولهم.

كانت هذه الدوافع - كلها معاً - وغيرها، من الأسباب التى دفعت لاهوت التحرر أن يأخذ مكانة أساسية فى فكر المجتمع المعاصر.

إن ما نتحدث عنه الآن، هو "لاهوت التحرر". فليس من الحق فى شئ أن ننكر أن الوعى الكنسى لقضية تحرير الإنسان كان قائماً منذ حقب سابقة. فقد

اتجهت الكنيسة لدراسة "المسئولية المسيحية تجاه المجتمع" و "دور الكنيسة فى خدمة الإنسان الكامل" و "المسئولية المسيحية للسياسة" و "علاقة الدين والدولة" و "رسالة الكنيسة تجاه الفقراء" و "عمل الكنيسة فى التنمية"، إلى غير ذلك من الاتجاهات الدراسية والفكرية. وقد قدمت الكنيسة دراسات وبحوثاً عديدة فى هذه المجالات، وعقدت مؤتمرات دراسية عديدة، على المستويين الدولى والقومى، لمناقشتها، كما قامت هيئآت ومنظمات عديدة للعمل فى هذه الخدمات. وقد شهدت الخمسينات والستينات تحركات ليست بقليلة فى هذه الموضوعات.

إلا أن ما يشدنا الآن، هو أن هذه الدراسات تمخضت فى السبعينات عن "علم لاهوت" هو "لاهوت التحرر". فتحول القضايا الفكرية إلى "لاهوت"، هو الذى يدفعنا الآن لدراسته، والتعرض له من كافة الجوانب، وتقييمه.

لقد كتب كثيرون عن "التحرر" و"التحرير" من وجهات نظر عديدة. وقضية التحرير وارتباطها بالتنمية، وعلاقة الكنيسة بها، موضوع آخر، لا نناقشه هنا. كما أن قضية علاقة الدين بالدولة، والكنيسة بالسياسة، ودور الكنيسة السياسى، موضوع آخر، لا نناقشه هنا. الحوار هنا، يرتبط "بالتحرر" باعتباره "علم لاهوت"، يدعو إليه مجموعة من المفكرين منذ السبعينات.

نشأ لاهوت التحرر فى دوائر غير أكاديمية [1]، ثم بدأ يتطور ليأخذ شكل "لاهوت". ولا تزال الأسئلة تثار: هل "لاهوت التحرر" لاهوت؟ وهل هو

١- روزينى جبلينى. جدل التحرير. ص١

بالضرورة لاهوت مسيحى؟ ورغم تواجد اختلافات فكرية، فان المتحدثين بلاهوت التحرير، يجزمون بأنه "لاهوت واحد"، وهم يقصدون بذلك، أن علم اللاهوت التحريرى، هو علم لاهوت بمعناه الشامل، وأنه ليس مجرد نظريات اجتماعية أو سياسية، لكنه علم فيه تطبيق عقلانى للفكر الكتابى مع الواقع البشرى فى عالمنا المعاصر.

ونحن نحاول أن نقدم علم لاهوت التحرر كما قدمه المتحدثون عنه، نشرحه مع الأسس الكتابية له كما يعرضونها. وبعد أن نقدم العلم كما يراه أصحابه من المفكرين. نقدم بعد ذلك دراسة تقييمية للعلم، حسب وجهة نظرنا وفهمنا لعلم اللاهوت.

ثم نقدم فى ختام الدراسة، فكرة مختصرة عن "علم لاهوت الرجاء" للمفكر اللاهوتى المعاصر يرجان مولتمان. باعتبار أن "لاهوت الرجاء" يمثل أساساً علمياً لاهوتياً للتطلع إلى المستقبل.

١

لاهوت التحرر - شذرة تاريخية

بدأ علم اللاهوت أولاً كنوع من الخشوعيات الكتابية [٢]. وعلاقة ذلك بالحياة الروحية للفرد. ومن خلال التأثر بالفلسفات الإغريقية، استحدث علم اللاهوت علاقته بالفكر الفلسفى، ثم صار أكثر من مجرد خشوعيات. وفى القرن الثانى عشر تحول اللاهوت إلى "علم"، ويرجع ذلك خاصة إلى الدور الذى قام به كل من ألبرت الأكبر Albert the Great وتوما الإكوينى Thomas Aquinas. وكان الإكوينى يرى أن "علم اللاهوت " ليس مجرد علم، لكنه حكمة تنبع من الخير الذى يوحِّد الإنسان بالله [٣]. وقال أيضاً إن "علم اللاهوت" جهد عقلانى يتولد من العلاقة بين الإيمان والعقل. ورأى البعض أنه ليس علماً كسائر العلوم. لكنه معرفة عقلانية.

وفى القرن الرابع عشر، اختفت العلاقة بين اللاهوتيين والخشوعيين، وأصبح علم اللاهوت علماً مستقلاً. يبحث عن مفهوم الإيمان، فى ضوء كلمة الله. وقد ارتبط علم اللاهوت بعلوم الفلسفة والمنطق عبر سنوات طوال.

كان أوريجانوس أول من ربط بين اللاهوت والتنمية وهو يعلق على التخلف الاجتماعى. إلا أن التعليق كان محدوداً يعبر عن اهتمام اللاهوت بالمجتمع،

٢- جوستافو جوتيرى. لاهوت التحرر. ص٤

٣- ماقبله. ص٥

والإنسانية.

وفى ضوء ذلك، نجد آراء عن بدايات عديدة. يعتقد روزينو جبليني، أن الحركة بدأت بمرسلين فى أمريكا اللاتينية بعد هزيمة سنة ١٥١١[٤]. وهناك عناصر عديدة، يمكن الإشارة إليها، كمن مهد لظهور لاهوت التحرر، منها أن القرنين الخامس عشر والسادس عشر، مهدا أن يفهم الإنسان ذاته، وديكارت الذى صور علاقة الإنسان بالطبيعة، وهيجل، صاحب الفلسفة المادية، التى كانت انعكاساً للثورة الفرنسية الصناعية، إذ رأى حيوية الربط بين التاريخ والإنسان، ودعا إلى حق الإنسان، فى توجيه مجتمعه الذى ينتمى إليه. ثم كارل ماركس[٥] الذى نادى بربط المعرفة بتغيير العالم، عن طريق العمل. هذه العناصر كلها حاولت أن تربط بين الدين والدنيا، بين الإيمان والإنسان، بين الروحانية والحياة المادية.

كل هذه الحركات، وغيرها، دفعت العالم اللاهوتى أن يفكر فى علاقة الكنيسة والدين، بتحرير الإنسان. إلا أن مؤتمرين، أشارا بكل على حدة إلى حقيقة الإنسان المتخلف، كان لهما التأثير المباشر على ظهور "علم اللاهوت التحررى"، وهما: مجلس أساقفة الكنيسة لأمريكا اللاتينية Latin America Episcopal Council الذى اجتمع فى بوبيلا[٦] Puebla فى عام ١٩٧٩، والذى تحدث عن زيادة الفجوة بين الاغنياء والفقراء، وشرح حالة الفقراء، والظلم

٤- جبليني. ماقبله. ص١

٥- بوف. الخلاص والتحرر. ص٧٥

٦- ماقبله. ص٢٠

الاجتماعى، والمحن الاقتصادية التى يعانون منها، وعلق على ضرورة قيام الكنيسة بدورها. والمؤتمر الثانى هو مؤتمر أساقفة أمريكا اللاتينية الكاثوليك الذى اجتمع فى ميدلين[٧] Medellin فى كولومبيا عام ١٩٧٤.

وعليه، فإن واقع أمريكا اللاتينية فى الخمسينات، وبروز الاهتمام الكنسى بالتنمية، ثم تحول ذلك إلى تشاؤم فى الستينات، وهو ينطوى على أن محاولات التنمية غير جادة، وغير مؤدية لأهدافها، وأن حالة الهامشيين والفقراء من أبناء المجتمع تسوء اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا.

من هنا نبتت فكرة التحرر. فالبؤس الذى يعيشه الإنسان، نتيجة التخلف الاقتصادى والاجتماعى والسياسى، يجعله معتمداً على غيره، بينما كان يلزم، أن يكون الإنسان سيد ذاته. والسبب الحقيقى فى ذلك هو أن الأجهزة السياسية والاجتماعية القائمة، غير ملتزمة بتصويب الوضع، كما أن الأجهزة الدينية - إلى جانب عدم التزامها - تتمتع بثراء فاحش.

وكان لسان حال تجربة أمريكا اللاتينية أن مجهودات التنمية وحدها لا تكفى، ولا بد من حلول جذرية، لتغيير المجتمع، وقد تكون الحلول تعتمد على ثورات، تغير من الوضع السياسى والاقتصادى والاجتماعى، ليكون الفرد - والمجتمع - سيد تقرير مصيره.

ارتبطت هذه الحقيقة بالسؤال: هل للايمان المسيحى مكان فى مواجهة

٧- ماقبله. ص٦٩

التخلف، والفقر، والبؤس؟ هل يقف الإيمان المسيحى صامتاً أمام هذه الحاجة؟ أم أن هناك فجوة بين الإيمان والواقع. هل للإيمان المسيحى، مايقوله، للمطحونين من البشر؟

إن استقراء علامات الأزمنة، يدفع إلى اتخاذ اللاهوت منحى جاداً، تجاه هذه القضية، وعدم تركها معلقة. ومن هنا نشأ لاهوت التحرر.

وكان كتاب A Theology of Liberation لمؤلفه Gustavo Gutierreo الذى طبع فى ليما، عاصمة بيرو، طبعته الأولى فى عام ١٩٧١، أول من بدأ عرض "علم لاهوت التحرر". (٨) ويحاول جبلينى، أن يلخص المراحل التاريخية لهذا العلم على النحو التالى: (٩)

المرحلة الاعدادية (١٩٦٢ - ١٩٦٨) ويشير فيه الى دور الفاتيكان الثانى (١٠)، ثم المرحلة التكوينية (١٩٦٨ - ١٩٧٥)، ثم مرحلة التنظيم (عام ١٩٧٦ حتى الآن).

ويشير جبلينى، إلى محاضرة ألقاها جوستافو جوتيرى فى مؤتمر فى بيرو، فى يوليو ١٩٦٨، بعنوان "نحو لاهوت تحرر" بعدها ظهر كتابه الذى سبقت الاشارة اليه فى عام ١٩٧١.

٨- جبلينى. ماقبله. ص ٧

٩- ماقبله. ص١، ٢

١٠- مؤتمر الفاتيكان الثانى، هو مؤتمر الكنيسة الكاثوليكية الذى أعاد النظر إلى اللاهوت الكاثوليكى، وكان من قراراته ما استند عليه المنادون بلاهوت التحرر.

ومن عام ١٩٧٥، ارتبط لاهوت التحرر بقضية تحرير السود، ثم ارتبط بتحرير المرأة Feminist Theology[١١].

خلال هذه الفترة ظهر علم لاهوت الرجاء Theology of Hope لمؤلفه الاوروبى برجان مولتمان Jurgen Moltman ، الذى ظهر فى طبعته الأولى فى إنجلترا عام ١٩٦٧، وهو يناقش اللاهوت من الجانب التقليدى العلمى المتعارف عليه لعلم اللاهوت، بعدها ظهر كتاب يرد عليه، عام ١٩٦٩، عنوانه: A Theology of Human Hope [١٢]

يميز لاهوت التحرر نفسه عن الاتجاهات السابقة له، ومنها دراسات "الكنيسة والمجتمع" فى عام ١٩٦٦ والتى دعا اليها المجلس العالمى للكنائس، والتى بنيت على دراسات قدمها والتر روشنباخ Walter Rauschen basch فى عمله الأول "المسيحية والأزمة الاجتماعية" Christianity & Social Crisis الذى ظهر فى ١٩٠٧، والذى دعا الى الانجيل الاجتماعى Social Gospel[١٣]. ودعوة ريتشارد شول Richard Shaull الذى دعا المسيحيين لمشاركة الصراعات الثورية [١٤]. ودعوة مولتمان - وأمثاله - الذى ربط الرجاء بالمستقبل بالاسخاتولوجى، حيث أن الدعوة الى "لاهوت التحرر" أشمل من مجرد الثورة. هذه الدراسات وغيرها، التى سبقت لاهوت التحرر، ناقشت المسئولية المسيحية والكنسية، تجاه قضايا تحرير الانسان سياسياً واقتصادياً

١١- ماقبله. ص١٣

١٢- ماقبله. ص١٤

١٣- ماقبله.

١٤- ماقبله.ص١٥

واجتماعياً.

كما أن "لاهوت التحرر" يختلف عن "علم اللاهوت السياسى" الذى ظهر بين عامى ١٩٦٥ و ١٩٦٨ فى أوروبا، نتيجة عمل اللاهوتى Johann Baptist Metz والذى تبعه آخرون ومنهم مولتمان [١٥]. إلا أن لاهوت التحرر، أقرب إلى لاهوت السياسة، فى نظر جبلينى.

وقد طور جوتيرى دراسته، فى إتجاه نفس المنهج، فى عام ١٩٧٥ فى مؤلفه Praxis of liberation, Theology and Proclamation.[١٦]

ويعتقد جبلينى، أن المستقبل، قد يتمخض عن دراسات أخرى نتيجة الصراع بين "لاهوت السياسة" من جانب "ولاهوت التحرر" من جانب آخر [١٧].

يحاول ألان فارس Allan Farris [١٨] أن يجد فى التراث الكالفينى تعاليم، نبع عنها "لاهوت التحرر"، ومنها أن الانسان خلق للشركة مع الله، وللتجاوب معه بشكر وفرح. فهو قادر على الدخول فى شركة وعلاقة مع الآب، وبالتالى، له القدرة على الدخول فى شركة مع الانسان. ومنها أن إرادة الله للإنسان أن يكون عادلا مع نفسه. وأنه من الخطأ أن نفصل محبة الانسان لله، عن محبة الانسان للانسان. فقد أراد الله أن يكون البشر أعضاء جسد واحد.

١٥- ماقبله. ص١٦

١٦- ماقبله.

١٧- ماقبله. ص١٩

١٨- فارس. سابقات فى لاهوت التحرر فى التراث الكالفينى. ص١٠٧ - ١٠٨

ولما كان "لاهوت التحرر" علماً حديثاً. فلا شك أنه سيواجه تطورات أخرى قادمة. فالأعوام المقبلة سوف تتمخض عن رؤى جديدة، وأعماق جديدة فى هذا العالم، أو ربما تتغير النظرة الى النظرية كلها.

٢

علم لاهوت التحرر

يرتبط لاهوت التحرر بالعلوم السوسيولوجية والسيكولوجية والبيولوجية [١٩]. استخذم علم اللاهوت دائما الفلسفة، أو وسائل فلسفية [٢٠]. فقد استخدم الأفلاطونية، ثم الأرسطية، ثم الفلسفات المعاصرة. لكن لاهوت التحرر يرتبط بالتحليل السوسيولوجي وبالفعل الاجتماعي Social Action.

علم اللاهوت، يبدأ عادة من الوحى إلى الواقع، أما لاهوت التحرير، فهو يبدأ من الواقع إلى الوحى [٢١]. ويرى جبلينى أن مصداقية اللاهوت تتحقق فى مطابقتها للواقع [٢٢].

ولما كان علم اللاهوت يرتبط بالواقع، فهو لاهوت يمكن أن يكون محليا. فالواقع فى أمريكا اللاتينية، هو الذى نبع منه لاهوت التحرير. هذا الواقع، قد يتفق مع واقع آخر، فى موقع آخر.

ولذا فإن الأفارقة يمكنهم أن يكتبوا لاهوت التحرر من واقع أفريقيا، والأسيويين يمكنهم أن يكتبوا لاهوت التحرر من واقع آسيا، وهكذا. ولما كان علم اللاهوت هنا يرتبط بالواقع، فان البيئة الاجتماعية، ومافيها من مشكلات،

١٩- جوتييرى. ماقبله. ص٥

٢٠- جبلينى. جدل التحرر. ص٩

٢١- ماقبله. ص١١

٢٢- ماقبله. ص١٢

والقضايا التى تحتاج إلى التحرر فيها هى التى تشكل علم اللاهوت هذا.

بل يجوز أن يشكل علم اللاهوت نظرية أو يتبنى ويناقش قضية معينة، فى مجتمع ما. فالسود - فى أمريكا - فى سبيل دفاعهم عن حريتهم، ربطوا علم لاهوت التحرر بقضيتهم، والمرأة فى دفاعها عن حريتها فى المجتمعات العربية، أنشأت لاهوت تحرر المرأة.

لما كان علم اللاهوت يبدأ بالوحى، ويتخذ من الفلسفة أساليبه فى الشرح والتحليل، كان علم اللاهوت - إلى حد كبير - نظرياً. لكنه كان يتطرق إلى الواقع متى لزم. ولذا فإن علم اللاهوت كان عقلانيا، يربط بين الأفكار من كلمة الله، فى الموضوع الواحد، ليقدم منها الفكر المتسلسل منطقياً.

ولكن علم اللاهوت التحررى، لم يبدأ من الوحى. لكنه بدأ من الواقع الاجتماعى والسياسى، للمجتمع والبيئة، كما سبقت الاشارة إلى ذلك فالمطابقة هنا، هى مطابقة ما ورد فى الوحى المقدس مع ظروف البيئة والمجتمع وقضاياهما.

وحيث أن لاهوت التحرر، واقعى، فهو يرتبط بالانسان، وبالانسانية. إنه "لاهوت الانسانية" [٢٣]، يبنى على الممارسات المسيحية التى تقوم بها المجتمعات المسيحية، حيثما وجدت. معنى ذلك، أن لاهوت التحرر، ليس لاهوتا ينتظر المستقبل، لكنه يحدد "العمل" المباشر، والحاضر، والذى قد

٢٣- ماقبله. ص٤

يواصل نشاطه فى المستقبل. فلاهوت التحرر، من هذا المنطلق، لاهوت عمل، فى مواجهة الواقع الأليم للبشرية.

ولاهوت التحرر، من هذا المنطلق، ليس لاهوتا إضافيا، يضاف إلى ماقبله من أعمال، ولكنه لاهوت جديد. فهو اللاهوت الأول من نوعه فى تاريخ الفكر اللاهوتى الذى يعتمد على الواقع التاريخى [٢٤].

وقد دعى لاهوت التحرر، بأنه "لاهوت ثانوى"، فاللاهوت التحررى، يعتمد على وجود "لاهوت أساسى" يرتبط بالاعلان المسيحى، والخلاص [٢٥].

يتطلع لاهوت التحرر إلى واقع المجتمع المحلى، بما فيه من فقر، وظلم، وبؤس، وأسى. إنه يدعو لتحريك المجتمع الكنسى ليمارس ما يلزم من نشاط وعمل لمساعدة المظلومين والبائسين والمحرومين. والفقراء. لذا فان لاهوت التحرر، دعوة للعمل لأجل المطحونين والهامشيين من المجتمع البشرى. والدعوة تحمل قيام المجتمع الكنسى، بكل ما يمكن عمله لتحرير المطحونين، ليكونوا مستقلين، لهم سيادة على ذواتهم، دون اعتماد على الغير، مواجهين مشكلاتهم الاقتصادية والتعليمية والاجتماعية والسياسية. والدعوة هنا تؤسس، على أن المجتمع الكنسى، لا يعمل هذا من أجل المطحونين، بل يشترك معهم، فى قيامهم بدور إنقاذ أنفسهم [٢٦]. وثمة تأكيد أن هؤلاء المظلومين، فى كل

٢٤- ماقبله. ص١٠

٢٥- ماقبله.

٢٦- بوف. ماقبله. ص١٥

مجتمع، لهم شغف برغبة التحرر، واستعداد للمقاومة لتحرير ذواتهم (٢٧).

وقد يكون دور مجتمع الكنيسة، معاونة المطحونين - داخل الكنيسة أو خارجها - أن يتعرفوا على حالتهم، ويدركوا مشكلاتهم، ثم يتحركون مع الكنيسة لطحن المظالم، والحصول على الحرية (٢٨). لذا فان لاهوت التحرر، ليس مجرد دعوة للتحليل العقلانى فحسب، بل دعوة للعمل الرعوى والخدمة، نابعة من سماع أصوات الفقراء فى كل عصر (٢٩).

من هذا نرى أن لاهوت التحرر، لاهوت عملى. فهو يرتبط بالمجتمع وظروفه، ويدعو الكنيسة للقيام بدورها الفعال لتطوير المجتمع للأفضل.

وتمتد المسئولية، من داخل علم لاهوت التحرر، الى مايحدث داخل الكنيسة. فالنظرة التحررية للمطحونين داخل الكنيسة، تدعو للتحرر من سلطان الإكليروس، وسيادته. فالكنائس، التى اتخذت لها أساليب دكتاتورية سلطوية، والتى تمارس نفس العنف، والسيادة القهرية فى ممارستها لسلطاتها، إما تمارس ذات أساليب الظلم والبطش، ممانيتج عنه ظلم، وحرمان للانسان من انسانيته. ولاهوت التحرر يدعو لتحرير المظلومين من أى نوع.

ولما كان لاهوت التحرر يرتبط بالواقع، وبقضايا الانسان الفقير والمظلوم،

٢٧- ماقبله. ص٢٧

٢٨- ماقبله. ص٢٨

٢٩- جوينرى. ماقبله.ص٨٠٩

فان الانسان هو المركز الرئيسى لهذا اللاهوت [٣٠]. وهذا هو الواقع أن "لاهوت التحرر" يعتمد على العلوم الانسانية [٣١].

وحيث أن لاهوت التحرر، لاهوث عملى، يرتبط بالانسان، وبالواقع، لذا فهو لاهوت متجدد. يطالب باستمرار الدراسة والتأمل، واكتشاف أساليب تحرير المظلومين والفقراء [٣٢].

أرادت كلودفيس يوف أن تلخص القضية فى سطرين [٣٣]،

فقالت: الايمان + الفقر = الايمان المحرر

اللاهوت + علم السوسيولوجى = لاهوت التحرر

نستنتج من هذا، أن الكنيسة فى أمريكا اللاتينية، وهى تواجه مواقف فى مجتمعاتها، من فقر وظلم اجتماعى وسياسى، قدمت للعالم علم لاهوت يتناسب مع ظروفها، فيه تحرير للمواطن اقتصادياً وسياسياً واجتماعياً. ومن خلال ذلك، دعت الى تطهير الكنيسة ذاتها، أو تحريرها، من الأساليب السلطوية فى الإدارة، ومن إهمال الفقراء والمظلومين، مع دعوتها للاهتمام بالمجتمع، وبالتالى بالمطحونين من أبناء الشعب. هذه الدعوة متضمنة فى "لاهوت التحرر" الذى دعت كنيسة أمريكا اللاتينية إليه.

٣٠- ماقبله. ص٧

٣١- جبلينى. ماقبله. ص٨

٣٢- ماقبله. ص١١

٣٣- جبلينى. ماقبله.ص٨٩

٣

روحانية لاهوت التحرر

من خلال الاطار الذى سبق شرحه، يأتى التساؤل: هل ثمة روحانية فى لاهوت التحرر؟ وماهو مفهوم الروحانية فى هذا اللاهوت؟ وإن كان لاهوت التحرر يبدأ بالواقع التاريخى لحياة المجتمع والشعوب، ثم ينتقل الى كلمة الله، الوحى المقدس، فهل ثمة أسس يستند عليها؟ وما هى؟

لاهوت التحرر، لاهوت نبوى. فالنبوءة، هى أن يرى النبى الواقع، ثم يعلن رأى الله فيه، ويتخذ القرار العملى لمواجهته [٣٤]. فلاهوت التحرر - من هذا المنطلق - يحمل المسئولية النبوية للتاريخ، وبالتالى للمجتمع ككل.

ولما كان لاهوت التحرر، يدعو الى تحرير المظلوم والفقير، ليسترد الانسان إنسانيته، فإن تحرير المظلوم يتضمن فى داخله على إعلان إلهى [٣٥].

وقد سبق أن شرحنا، أن لاهوت التحرر يبدأ بالواقع أولاً، ثم يكتشف ما يقوله الوحى المقدس بشأن مايراه [٣٦]. ونحن هنا نستعرض الأسس التى يتخذها علم لاهوت التحرر لمناقشة رؤياه.

٣٤- جوتيرى. ماقبله. ص١٣

٣٥- بوف. ماقبله. ص١١٦

٣٦- جوتيرى. ماقبله. ص١١

يبنى "لاهوت التحرر" أساس فكره على العهد القديم. فقد كان الشعب قديماً مستعبداً بعنف، وعبودية قاسية (خروج ١: ١٠، ١١، ١٣، ١٤). ولما اشتدت العبودية، وقاسى الشعب الذل بكل ألوانه (خروج ٥: ٦ - ١٤)، دعا الله موسى ليحرر شعبه. فذهب موسى وهرون إلى فرعون وقالا له هكذا يقول الرب إله العبرانيين ...." اطلق شعبى ليعبدونى (خروج ١٠: ٤)"، ولما أصر فرعون على عدم إعطاء الحرية للشعب، دبر الله خروج الشعب بطريقة معجزية (خروج ١٢). وبعد أن انتصر الشعب متحرراً، رنموا ورقصوا للحرية (خروج ١٥).

أصبحت علاقة يهوه بالشعب بعد ذلك، أنه هو، الله، الذى حرره من بيت العبودية. وكان الله دائماً يذكر شعبه بهذه الحقيقة "أنا الرب إلهك، الذى أخرجك من أرض مصر، من بيت العبودية (خروج ٢٠: ٢، تثنية ٥: ٦)".

كان التحرر هنا تحرر روحى سياسى اقتصادى اجتماعى معاً. كان تحريراً شاملاً للشعب كله. ظهر من هذا السجل، أن الله إله التاريخ. وهو متداخل فعلياً مع شعبه كشعب، فى تحرير الانسان، ليحكم الانسان ذاته، وليحكم الشعب نفسه.

وقد سميت مرحلة التحرير الأساسية فى العهد القديم، مرحلة إعادة إنسانية المظلوم [٣٧]، واسترداد الانسان لذاتيته على أساس من احترام الانسان، وحكمه لذاته، وقدرته على إصدار قراراته لنفسه من واقع حريته الكاملة. وفى هذه الصورة تثبيت لدعوة الله للانسان. فقد خلق الله الانسان حراً، خلقه على

٣٧- بوف. ماقبله. ص١١٦

صورته. وقيمة الانسان أن يكون صاحب قراره.

ولما كان أسلوب معاملة الله مع شعبه، تحقيق العدالة، ورفع الظلم، فقد استمر الله فى معاملته مع شعبه عبر التاريخ على هذا المنوال. فقد أقام الله عهده مع موسى النبى على أساس أنه الله، وهم شعبه. ودعاهم ليكونوا "نوراً للأمم"، لفتح عيون العمى، وإطلاق المأسورين الجالسين فى الظلمة أو السجن (إشعياء ٤٢: ٥ - ٧)، وليتبارك فى نسل ابراهيم كل الأرض (تكوين ١٢: ١- ٣).

ثم جاء السيد المسيح. فتحدث عن مشكلة الفقر بكافة أنواع الحديث. فقد ولد السيد المسيح فقيراً، وعاش عاملاً بسيطاً، حتى ارتفع على خشبة الصليب، وبذلك كان المسيح فى حياته، مشاركاً الفقراء فى حياتهم، متألماً معهم، معاينا الظلم والألم معهم، كواحد منهم.

تحدث المسيح عن أهمية العناية بالفقير. فقد قدم السيد المسيح قصة الغنى ولعازر، وكشف فيها صورة الغنى الذى لا يهتم بالفقير، ثم نقل الصورة إلى فصل آخر، عندما جلس الفقير فى حضن ابراهيم، والغنى فى الجحيم، وأجرى المسيح حواراً بينهما يوضح قيمة الفقير، وظلم الغنى، ونتيجة ذلك (لوقا ١٦: ١٩ - ٣١).

وعندما تحدث السيد المسيح، مع الشاب الغنى (لوقا ١٨: ١٨ - ٢٥)، طلب منه أن يبيع أملاكه ويوزعها على المحتاجين، مما أثار غضب ذلك الشاب.

وفى هذا قال السيد المسيح، "إن دخول جمل من ثقب إبرة أيسر من أن يدخل غنى إلى ملكوت الله" (لوقا ١٨: ٢٥).

وتحدث المسيح عن تحرير المرأة. فقد كانت الشريعة اليهودية تحاسب المرأة الزانية، ولا تحاسب الزانى. فقال المسيح فى الموعظة على الجبل، إن من ينظر إلى إمرأة ليشتهيها، فقد زنى بها فى قلبه. (متى ٥: ٢٧، ٢٨). وقد أراد بذلك أن يجعل الرجل مسئولاً كالمرأة. كما دافع عن المرأة التى كانت تطلق لأتفه الأسباب، ومنع الطلاق إلاّ لعلة الزنى (متى ١٩: ٣ - ١٠)، حفظاً لكرامة المرأة، وإعطائها حقها.

كما حكى المسيح قصة المرأة التى طلبت حقها، ولكن القاضى لم يكترث بها .. فهى إمرأة من جانب، وهو لم يهتم باقرار الحق والعدالة من جانب آخر، فألحت عليه، حتى اضطر أن يعطيها حقها، ولم يكن ذلك من قبيل العدالة، بل ليتحرر من إلحاحها الذى أقلقه (لوقا ١٨: ١ - ٨).

كانت حياة السيد المسيح مشاركة أصيلة للإنسانية المتألمة. شفى المرضى، طهر البرص، فتح أعين العميان، أقام الموتى، إلى غير ذلك من الخدمات الإنسانية للمتألمين والمظلومين. فالمسيح، هو المسيا، الذى رعا حاجة الإنسان، ودافع عنه، ودعا لتحريره. وأخيراً، رفع السيد المسيح على خشبة الصليب حسداً وظلماً. وهو بذلك وقف مشاركاً المظلومين.

ربط السيد المسيح المسيرة العالمية، بالخط الاسخاتولوجى (أى ما بعد

الموت). ففى قصة لعازر والغنى، حكاها من فصلين: فصل ماقبل الموت، وآخر بعد الموت. وفى حديثه (متى ٢٥: ٣٥ - ٤٦)، يوضح السيد المسيح صورة مابعد الموت عن الذين اعتنوا بالفقير والمحبوس والجائع، مما يفعله الانسان مع أحد هؤلاء الاخوة الأصاغر (أى المطحونين والمظلومين والفقراء)، فقد فعله بالسيد المسيح نفسه.

وقد بدأ السيد المسيح، حديثه فى الموعظة على الجبل بتطويب المساكين بالروح، فإن لهم ملكوت السماوات. فالملكوت هو التحرر الكامل للإنسان من ولا عجب فقد جاء السيد المسيح، ليكون للإنسانية حياة أفضل وأوفر.

ورغم أن السيد المسيح لم يكن رجل سياسة، بالمعنى المعروف، ورغم أنه لم يتدخل فى السياسة بصورة مباشرة، إلاّ أن كلماته كان لها مضمون سياسى. فدفاعه عن الفقير مقابل الغنى، وثورته على الأغنياء الذين كانوا يستغلون الهيكل فى التجارة، عندما طهر الهيكل (متى ٢١: ١٢، ١٣)، ودفاعه عن المرأة ومكانتها فى المجتمع، ومساندته للمظلومين، كانت كلها تتضمن جوانب سياسية. وأخيراً، ارتفع السيد المسيح على خشبة الصليب، بقرار سياسى، حيث دفع ثمن ثورته على الظلم، فكان الصليب فداءً للروح والجسد، وكانت القيامة انتصاراً على الظلم الإنسانى.

من هذا نرى أن لاهوت التحرر، يبنى أساساً على تاريخ تعامل الله مع البشرية، وهو تاريخ يبنى على تحرير المجتمع كتحرير الفرد، ليكون سيد ذاته، وليكون إنساناً بمعنى الكلمة، كما خلقه الله.

فالخلاص لا يتم فقط فى التحرر، بل إن التحرر هو المركز الهام للخلاص[٣٨].

ويسوع المسيح هو المحرر[٣٩]. وقد كان فداء المسيح يهدف لتحرير الانسان. والحرية المقصودة ليست روحية فقط، وليست فردية فقط[٤٠]. ففى نظر لاهوت التحرر، أن التحرر عمل مسياوى[٤١]. فملكوت الله، فى العالم، ملكوت البشر[٤٢]. فالملكوت فى العالم، وللعالم. إنه حقيقة تاريخية.

والإيمان ضرورة ملحة، لتحقيق حرية البشر، المحتاجين لخلاص الله من كل ما يفرض عليهم الظلم والمذلة[٤٣]. فالمجتمع المسيحى يعترف بإيمان يعمل من خلال الخير[٤٤]. وشعب الله هو الكنيسة. إن لاهوت التحرر، ينقل مفهوم الكنيسة، من كونها تعمل لأجل الناس، إلى كونها "كنيسة الناس"[٤٥]. فالكنيسة ليست من فوق، لكنها من تحت[٤٦].

٣٨- ماقبله.

٣٩- جبلينى. ماقبله. ص١٢٠

٤٠- ماقبله. ص٥٦

٤١- بوف. ماقبله. ص١٣

٤٢- ماقبله. ص٧٩

٤٣- ماقبله. ص١١٦

٤٤- جوتيرى. ماقبله. ص١١

٤٥- جبلينى. ماقبله. ص٣٠

٤٦- ماقبله. ص٣٢

خلاصة

نخلص من الدراسة المركزة، التى شرحناها آنفاً، بأن لاهوت التحرر، لاهوت، يبدأ بالواقع، ويعمل لأجل الإنسان. يدعو اللاهوت، لخطوة تقدمية، أكثر من التنمية، إلى تحرير الإنسان. فالتنمية تدفع الى تنمية الانسان والمجتمع والبيئة، بينما يخطو لاهوت التحرر إلى تحرير الإنسان، لتكون له القيم الانسانية التى خلقه الله عليها ، كإنسان، يحترم ذاته، وله مكانته وقيمته فى المجتمع، وله حقوقه وامتيازاته السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

ويرى لاهوت التحرر أن هذه القيم كلها إيمانية روحية. لذا فهى مسئولية الكنيسة، كما أنها مسئولية المجتمع. ولابد للكنيسة أن تقوم بدورها ، بمشاركة المظلومين والكادحين والفقراء، ليعملوا جنباً إلى جنب لتحريرهم مما لصق بهم عبر التاريخ.

ولأن الله، هو إله التاريخ، فهو إله الواقع، وإله البشرية جمعاء. فالسعى لدفع الظلم عن المظلوم، والسعى لتحقيق العدالة الاجتماعية للفقراء والكادحين، جزء أصيل من صميم رسالة الكنيسة ودورها الحقيقى.

٤

تقييم لاهوت التحرر

وهنا يبدى الكاتب رأيه الشخصى فى لاهوت التحرر. فإن هذا اللاهوت أفرزته ظروف الظلم والفقر فى أمريكا اللاتينية، خاصة فى البرازيل، حيث أحست بعض القيادات المسيحية، بضرورة إعطاء أولوية لخدمة المظلوم والبائس، فى مجتمعاتهم.

القضية فى حد ذاتها هامة جدا. ولا شك أن نظرية الدعوة الى "التحرر" أعمق من التحدث عن "التنمية"، كما جاء الشرح سابقا، وإن كان الحديث عن "التنمية"، لا يبنى فقط على خدمة المحتاجين، بل على علاج أسباب الظلم والفقر. وفى هذا فإن عنصر "التحرر" عنصر ضرورى وهام فى مناقشة التنمية، وإلا فإن "التنمية" لا يمكن تسميتها "تنمية". فالتنمية، فى مفهومها المعاصر، قضية تحرير.

ولا شك أن الكنيسة ملتزمة بالوصول إلى حلول جذرية للظلم الاجتماعى، والوقوف إلى جانب المطحونين، وتوعيتهم، لتحقيق حريتهم، واعتمادهم على ذواتهم، واسترداد إنسانيتهم السليبة. وهذا ما يميز الفعل الاجتماعى Social Action عن الخدمة الاجتماعية Social Service ، فالأخيرة خدمة تؤدى، والأولى محاولة لعلاج أسباب المشكلات، بحلول جذرية.

إلا أن فكرة اللاهوت أنه يبدأ بالواقع، ثم يعود إلى الوحى، فكرة خاطئة من أساسها. فاللاهوت يبدأ بالوحى أولا، ثم يتجه إلى الواقع. ولا يجوز لنا أن نظن أن الوحى يهمل الواقع، فمطابقة الوحى بالواقع، عمل من صميم اللاهوت. فعلم اللاهوت لا يعيش بمعزل عن الواقع.

إن تنصل اللاهوت من فكرة الشمولية للمسكونة كلها، إلى الواقع المحلى، عنصر يضعف النظرية، فالانسانية الشاملة للبشرية جمعاء، وهذا لا يمنع تطبيق النظرية. كما أن علم اللاهوت يمكن مطابقته بالقضايا المحلية، والمشكلات والمواقف الفئوية. فعلم اللاهوت يرى الشمول المسكونى، كما يرى الواقع المحلى.

إن اللاهوت، ولا شك، يركز على الانسان. لكنه يعبر عن رغبة الله فى خلقه الإنسان، وهدف الله فى سعادة الإنسان وتحريره. لقد قصدت الكنيسة، عبر التاريخ، تحرير الانسان، وقد جاء دور الكنيسة لتهتم به. فإن الاكتفاء، بأعمال الخير، حل وقتى، ولابد للكنيسة أن تتجه للحلول الجذرية. ومسئولية الكنيسة فى ذلك ترتبط بدورها السياسى والتنموى معا.

ترتبط المسيحية، بشخص المسيح، ولا يمكن أن نرى المسيحية بدون مسيح، فإن شخص المسيح، وماعمله للبشرية محور رئيسى لتنميتها وتطويرها روحياً واجتماعياً واقتصادياً. والإيمان بالسيد المسيح هو الدافع لتحرير الإنسان، كما أن شعب الله، ينتمى أولا إلى الله، ولأنه ينتمى إلى الله، فهو ينتمى إلى خليقة الله، والإنسان مركز هذه الخليقة.

لقد افتقر لاهوت التحرر، إلى المضمون الأول، للإيمان المسيحى، وهو علاقة الإنسان بربه. فقد اتجه لاهوت التحرر إلى إنسانية مطلقة. وبهذا، يكون قد فقد عنصراً هاماً فى الدين المسيحى.

إن لاهوت التحرر، بالمفهوم الذى شرح آنفا، يمكن أن يكون مسيحيا، ويمكن أن يكون غير مسيحى. فارتباطه بالمسيحية ثانوى، تابع للواقع، والأحرى أن يعلم اللاهوت أن يبدأ بالله، وبالوحى، وبهذا لن ينفصل عن الإنسان، وعن الواقع فى هذا العالم.

وإن كانت الكنيسة، عبر التاريخ، اهتمت باللاهوت والوحى، أكثر من اهتمامها بالإنسان، فهو خطأ الكنيسة، ونظرتها اللاهوتية. كما أن الكنيسة فى اهتمامها باللاهوت النظرى، دون مطابقته على واقع الإنسان، تكون قد أهملت ركناً هاماً من اللاهوت. فاللاهوت، يربط علاقة الإنسان بربه، وبالعالم. وفى هذا الارتباط المزدوج، نرى دور علم اللاهوت فى علاقته بالعالم، وبالإنسان، وبالبيئة.

من هذه المقدمة، يمكننا أن نقيم لاهوت التحرر "كلاهوت". فمن منطلق علم اللاهوت، يمكننا أن نطابق علم اللاهوت بالسياسة، وبالتنمية، وبكافة القضايا الفكرية التى يواجهها العالم والمجتمع. لكن اللاهوت يبدأ أساساً بالله وبالوحى.

ولعلنا، نريد أن نؤكد - مرة أخرى - أن قضايا تحرر الإنسان هامة جداً

وأساسية. فنحن لا نتهاون فى قيمتها. ولكننا نناقش "علم اللاهوت" كما دعا اليه المفكرون المعاصرون، كبناء، نبحث عن مواقع الركيزة فيه.

ولكى نحدد دراستنا، فى مجالات الفكر، ونحن نقيم لاهوت التحرر، نطرح القضايا الفكرية التالية.

١- اللاهوت يبدأ بالله لا بالانسان:

المسيحية من أكبر ديانات العالم لاهوتية. ولذا فإن هارولد براون يرى، أن أساس المسيحية أنها تبدأ من كلمة الله، وتعتمد على كلمة الله مشروحة ومفسرة [٤٧].

لما كان لاهوت التحرير يبدأ بالانسان وبواقعه، لذا، فإن هذا اللاهوت يتنوع بحسب المواقع، وفى ضوء القضايا الفكرية. لا شك أن عنصراً واحداً يضم هذه كلها، هو عنصر تحرير الانسان. ولكنه لا يكون "لاهوتا" و "مسيحياً"، مالم يبدأ بالسيد المسيح، كلمة الله المتجسد.

يرى جنكنز [٤٨] أن الله وحده هو المحرر، وأن الإنسان يستمد حياته من الله، والمسيح [٤٩]. وكون الله يصير جسداً - فى شخص المسيح - يعنى أن الله جعل نفسه متاحاً للإنسان، مباشرة، والآن [٥٠]. فالحضرة الإلهية مع

٤٧- ناش. عن لاهوت التحرير. ص٥

٤٨- مولتمان. اللاهوت والفرح. ص١٢

٤٩- ماقبله. ص٧

٥٠- ماقبله. ص٥

الإنسـان، تعاون الإنسـان أن يحـقق آمـاله. وأعظم أمل للإنسـان، أن يكون إنساناً بحق. فالرجاء الكامل هو فى الله.

ويتحدث مولتمان فى كتابه عن " اللاهوت والفرح" (٥١). مشيراً إلى إهمالنا الحديث عن مجد الله. فنحن نتحدث عن ربوبيته وننسى مجده. والمجد هنا يشير إلى العظمة، والجمال، والحب. فالعهد القديم يتحدث عن مجد يهوه (فى العبرية كابول Kabol)، وقد كان الله يظهر تارة فى الرعود والبروق والنيران، وتارة فى الرياح أو العواصف، (مزمور ٩٧)، وتارة فى حديث هادئ (٥٢). ومجد الله فى العهد الجديد (فى اليونانية دوكسا Doxa)، يظهر فى العزة والفخار والقوة والنور الباهر (٥٣). وقد تمجد السيد المسيح على خلاف المجد البشرى. فأعطاه الله مجداً، لأنه عاش الصليب، وشارك البشرية آلامها (بطرس الأولى ١: ٢١). فهو إله المجد أو "رب المجد" (كورنثوس الأولى ٢: ٨). وبذلك؛ صار السيد المسيح رجاء المجد لكل البشرية (كولوسى ١: ٢٧).

ويرى مولتمان، أننا مدعوون لمشاركة الله ربوبيته، كمشاركة مجده (٥٤). فعمل الإنسان لا يصنع من الإنسان إنسانا. لكن عمل الله يصنع من الإنسان إنسانا. فهو الخالق (٥٥). الإنسان يستلم نفسه من الله (٥٦). والله يعاون الإنسان، ويشترك معه، فى تحقيق الفرح والعدالة، الحياة والسلام، البركة

٥١- ماقبله. ص٥٨

٥٢- ماقبله. ص٥٩

٥٣- ماقبله. ص٦٥

٥٤- ماقبله. ص٦٢

٥٥- ماقبله. ص٦٥

٥٦- ماقبله. ص٦٦

والمجد. والرجاء فى المسيح هو الرجاء. فالاعتماد على المسيح، والاشتراك معه يحقق للإنسان سعادته.

فالله بداية اللاهوت، وكلمة الله المتجسد هو المركز، وكلمة الله الموحى بها هى الطريق. وكلها تتعاون معاً على بناء لاهوت مسيحى يحرر الإنسان، ويحقق له إنسانيته.

٢- الخدمة الاجتماعية Social Service

والفعل الاجتماعى Social Action

عندما نتحدث عن الفقير، أو الفقر، والمسكين، أو المسكنة، نحن نتحدث عن فئة كبيرة. فالمشكلة ليست فقط اقتصادية، ولكنها سياسية واجتماعية. فالفقير، مشكلته أكبر وأشمل من المال. إنه مظلوم، يجنى ظلماً مباشراً نتج عن ظلم شخص له، أو ظلماً عاماً نتج عن طبيعة المجتمع، التى قسمت الناس إلى غنى وفقير.

وماينطبق على الأفراد، ينطبق على المجتمعات، وعلى الدول. فإن لاهوت التحرر يقف مع الفقراء من المجتمعات والدول، كما يقف مع الأفراد.

ما نتحدث عنه باسم "الفقر"، يضم إلى نطاقه كل المشتمل لنطاق المحرومين، والمظلومين، والمطحونين. فهو يضم كل الذين يعانون بسبب الظلم، والجوع، والمرض، والإعاقة، والبؤس، والهامشية، والاستعباد، والشر. هؤلاء هم

المساكين، الذين حاول المسيح مساندتهم، والوقوف معهم، والبحث عن حلول لمشكلاتهم.

نتجت هذه المشكلات عن نظام المجتمع الذى يعيشه العالم. فالعالم، الذى ينتج الغنى والفقير، السيد والمسود، الحر والعبد، مجتمع شرير فى بنائه Evil Structure. وإصلاح هذا المجتمع يتم عن طريق إصلاح البناء، أو تعديله، أو إعادة تخطيطه، ليتفادى - قدر الإمكان - الشرور الناجمة عنه. إن مجرد الدعوة للبر لا تكفى. فإن كان الجهاز الإدارى، والشكل الذى يتركب منه المجتمع، يولد نظما فاسدة أو شريرة، كان لابد من تغيير البناء Structure.

كانت دعوة Paulo Frerie باولو فرارى، الزعيم الكاثوليكى البرازيلى [٥٧]، هى إلى الثورة. فان تغيير البناء السياسى والاقتصادى Structures، يتطلب فى نظره ثورات، تعيد حقوق المطحونين إليهم. وقد دعا كارل ماركس إلى مثل هذه النظرية [٥٨]، إذ رأى أن ثورة البروليتاريا (أى ثورة العمال)، تحقق هذه الأهداف.

وكانت ثورة البروليتاريا، ثورة يقودها العمال، ولكن متى أمسكوا الحكم، عادوا بنظام مشابه لما قبل ذلك. فقد انتقل الحكم من مجموعة سابقة، إلى مجموعة جديدة، تمارس الحكم الديكتاتورى، وأساليب القمع والبطش والظلم.

٥٧- نونيه. لاهوت التحرير. ص٥٧

٥٨- ماقبله. ص٤٧

هناك أساليب عديدة، يمكن اللجوء إليها، بدلاً من الثورة المسلحة. هذه الأساليب قد تكون دستورية أو قد تعبر عن ثورة غير مسلحة. منها: إقامة حوار بين الدول الغنية والفقيرة للوصول إلى إتفاق، يرد الظلم عن الدول الفقيرة، ويدفع الدول الغنية للإحساس بالمسئولية، والمشاركة الفعالة. هذا على المستوى الدولى، أما على المستوى المحلى فيمكن وضع نظام للضرائب التصاعدية، يحمى أصحاب الإيرادات المحدودة، ويدفع أصحاب الدخول الكبيرة إلى المساهمة والمشاركة فى سد احتياجات المجتمع والفقراء.

لكن الأساس الذى يضعه لاهوت التحرر، ونتفق معه، هو ضرورة إحداث تغيير جذرى فى النظم أو البرامج، مما يعاون على معاونة الفقير على مستوى أكرم للحياة البشرية.

ونحن نتفق أيضاً مع باولو فرارى، فى نظريته لإثارة الوعى العام لدى المطحونين Concientization. فقد يستسلم المطحونون للظلم، لدرجة أنهم لا يحسون بالمشكلات، ولايعملون لها حساباً، وقد ينسيهم اهتمامهم بلقمة العيش إدراك مشكلاتهم، والوعى بها.

هذا يدفعنا إلى دراسة كيفية تحقيق الحلول الجدرية. فإن أعطيت الفقير مالاً، فهو ينفقه، ثم يحتاج للمال مرة أخرى، وإن علمته حرفة، تكون قد أعطيته الوسيلة التى يجد منها رزق معيشته. فإعطاء المال خدمة اجتماعية، أما التدريب على حرفة فهو فعل اجتماعى. إعطاء المال للفقير، يجعله دائماً غير مستقل ذاتيا، ويدفعه للاستمرار معتمداً على من يعطيه المال، بينما تواجد

حرفة بين يديه، يجعله يعيش على أساس من الكرامة الذاتية، والاستقلال الاقتصادى. فالفعل الاجتماعى يحقق له التحرر، بينما الخدمة الاجتماعية لا تحقق له ذلك.

تحدث السيد المسيح فى مثل السامرى الصالح، عن الرجل الذى وقع بين لصوص. فالحل العادى للسامرى، كان أنه أخذ الجريح، ووصل به إلى حيث يعالج، وأنفق عليه. هذا حل مؤقت. والحل الجذرى، هو إضاءة الطريق بالنور، وحراسته لحمايته، وحماية المواطنين الذين يسيرون فيه. فالعلاج خدمة اجتماعية، أما حماية الطريق فهو فعل اجتماعى.

فلو أدرك المطحونون موقفهم، ووقفوا يبحثون عن الحلول الجذرية، لأمكن العمل معهم، والاشتراك الكامل للوصول معاً إلى تحقيقها.

٣- اللاهوت، ليس فئوياً، لكنه للجميع

إتجه لاهوت التحرر إلى فئة واحدة، وهى الفقراء، بالمفهوم الأشمل الذى ذكرناه آنفاً. مما دفع البعض إلى إتهام لاهوت التحرير، بوجود فكر ماركسى من خلاله. والحقيقة هى أن كثيرين من قادة لاهوت التحرير لايقيمون وزناً للتحليل الماركسى [٥٩]. ففى نظرهم أن الإيمان المسيحى - لدى لاهوت التحرر - لا يعمل كفكر أيديولوجى، يدعم مصالح أنانية. إن مايتفقون فيه، هو مساندة الفقراء والمطحونين، لكنهم لا يتفقون فى الايديولوجية الماركسية، التى

٥٩- واجمان. ماقبله. ص٥٦

تعتمد فى غالبها على أسس اقتصادية وسياسية فقط [٦٠].

إلا أن لاهوت التحرير، قسم المجتمع إلى آسر وأسير، غنى وفقير، إقطاعى وعامل، رجال ونساء، بيض وسود [٦١]. والحقيقة اللاهوتية، هى أن الجميع متساوون أمام الله، والكل خطاة، سواء أكانت الخطية خطية الأفراد فقط، أو خطية المجتمعات.

فالله يهتم بالجميع، فقراء وأغنياء. وللأغنياء حاجاتهم ومشكلاتهم كالفقراء. ونحن نحتاج أن نقف مع الجميع، فيما يحتاجون إليه، أو فيما هم محرومون منه.

كما أن الحياة البشرية - كما قال ريتشارد نيبور [٦٢] Richard Nicbuhr- قديرة على الخير والشر معاً، على العدل والظلم معاً. وعليه، فإن كل إنسان متى أدرك دوره، أمكنه أن يصححه. والأغنياء يحتاجون لتوعية بالموقف Concientization، ليقوموا بدورهم، فى الوقوف إلى جانب الفقراء، ومساندتهم. والتوعية وحدها لا تكفى، فلا بد من خطة عمل ترافقها لتحقق الأهداف المنشودة [٦٣].

يفترض لاهوت التحرر الشر فى الأغنياء. فالتحرر عن طريق ثورة، يفترض

٦٠- ماقبله. ص٥٧

٦١- ماقبله. ص٧٠

٦٢- ماقبله. ص٩١

٦٣- ماقبله. ص٥٤، ٥٥

أنه لا يوجد بين الأغنياء من يقف إلى جانب الفقراء، فى مساندة جادة حقيقية. وهذا الافتراض ليس دائماً صحيحاً. فمن الأغنياء من يدعون لتحرير الفقراء، ومساندتهم، بكل طاقاتهم.

فاللاهوت يهتم بكل فئات الشعب، دون تمييز، لأى أسباب أيا كانت.

٤- شمولية دور الايمان المسيحى، وبالتالى دور الكنيسة فى مواجهة التخلف والفقر والظلم؟

للإيمان المسيحى دور أساسى ورئيسى فى مواجهة التخلف والفقر والظلم، وهو دور تحرير الإنسان منها. فالتحرير مهمة أساسية. فالايمان المسيحى يعاون على تحرير الانسان من الشر والفساد، ويدفع الإنسان للتحرر من التخلف والظلم والفقر.

التنمية تعبير اجتماعى، لتنمية القدرات والامكانات المتاحة. لكن التحرر صفة أغنى من التنمية، لأنه يهدف إلى تحرير الإنسان من الاعتماد إلا على الله، وعلى نفسه، وهو يمارس تنميته الذاتية، وتنمية مجتمعه.

والتحرير هنا شامل، يشمل صالح الإنسان الكامل، ليسترد الإنسان إنسانيته الكاملة، التى خلقه الله عليها، والمجد والبهاء اللذين كلله الله بهما. فالدور الحقيقى للمسيا، هو دور المحرر، لبناء عالم جديد، فيه عدالة، وشركة حية بين أخوة وأخوات، من خلال ملكوت الله.

والإنسان من خلال ذلك، جسداً ونفساً وروحاً، وحدة واحدة، لا تتجزأ. ورسالة الإيمان رسالة شاملة للإنسان الكامل، تدعوه إلى حياة أفضل وأوفر.

والإيمان يدفع الإنسان اسخاتولوجياً (أى ما بعد الموت). فالفكر الاسخاتولوجى فى المسيحية، يبدأ من حياتنا على الأرض، ويستمر إلى ما بعد الموت. والحياة الأبدية، تبدأ مع الإنسان فى واقعه اليوم، وتستمر معه كل المصير. فالإيمان المسيحى، حاضر ومستقبل فى وقت واحد.

والكنيسة تعمل من منطلق إيمانها المسيحى، فتدعو إلى البر، والعدل والحق. هذه الدعوة فى حد ذاتها، دعوة لتحرير الإنسانية من الظلم، والشر والاستعباد، والتخلف والاستعمار، والطغيان، إلى غير ذلك. إن هذا لا يقلل من دور الكنيسة، ولا يجعل رسالة الكنيسة زمنية، محدودة. فرسالة الكنيسة اسخاتولوجية، لأنها رسالة الإيمان المسيحى، تعمل للحاضر والمستقبل فى وقت واحد.

لذا، فإن مسئولية الكنيسة النبوية، هى أن تكون موجهة للمجتمع، وللقادة، إلى إقرار العدالة الاجتماعية، والسياسية، وحقوق الإنسان، لرفع الظلم، والتخلف، وتحقيق السلام والمحبة والإخاء.

لا يجوز للكنيسة أن تقلل من دورها، وأن تتراخى فى موقفها، أو تهمل فى واجبها. فمواقف الكنيسة تساند كل مايبنى ويحرر الإنسان، وتعارض كل مايسلب إنسانية الإنسان، من الشرور الاجتماعية أو الفردية. ولكى تحقق

ذلك، لابد للكنيسة أن تقف مع الجميع، خاصة المطحونين، فى صراعهم لتحقيق ذواتهم.

والكنيسة - عندما تمارس وليمة الافخارستيا (العشاء الربى) - تحس بالمشاركة الشاملة، مع سيدها المسيح، لكل من يعانى من الشر والظلم - وهى بذلك، تقوم بدورها ككنيسة.

٥

لاهوت الرجاء

نتعرض هنا لدراسة "لاهوت الرجاء"، بحث ظهر إلى النور فى عام ١٩٦٤، فيه يؤكد مولتمان أن رسالة المسيحية، ليست فقط الإعلان عن الإيمان والرجاء، بل التغيير التاريخى للحياة (٦٤). ولما كان يمس هذه الدراسة عن التحرير، فإننا نقدمه شارحين وجهة نظر الكاتب.

ويورجان مولتمان، عالم لاهوت أوروبى معاصر (٦٥)، عندما قدم لاهوت الرجاء، لم يكن لاهوت التحرر قد ظهر، لكنه فى لاهوته يكشف النقاب عن رجاء العالم والبشرية، على أساس كلمة الله. وقد بنى مولتمان دراسته، على وعد الله للبشرية من جانب، وعلى اسخاتولوجية الرجاء من جانب آخر.

فإله المسيحية، هو إله الرجاء (رومية ١٥: ١٣)، وهو رجاؤنا. ويقتبس مولتمان، قول المفكر الوجودى اللاهوتى المؤمن كيركجارد، فى قوله، إن الرجاء عاطفة لما هو ممكن، لأنه عاطفة لما صار ممكنا بالوعد.

والرجاء هو الرفيق الذى لا ينفصل عن الإيمان. فالإيمان هو الثقة بما يرجى، والرجاء يؤكد إتمام الله لمواعيده. الإيمان يتجه إلى الله الآب كآب. والرجاء يؤكد

٦٤- نونيه. ماالهله. ص٤٢

٦٥- مولتمان. لاهوت الرجاء. ص٢٠

لنا أن الله سيستمر فى دور الآب معنا. الإيمان يعلن أن الحياة الأبدية لنا، والرجاء يؤكد ذلك. الإيمان هو أساس الرجاء، والرجاء يغذى الإيمان ويدعمه، ويدفعه للحركة والحيوية والاستمرار.

بدون معرفة المسيح، الرجاء خيال أو وهم. فالإيمان يرينا طريق الحياة، والرجاء يحفظنا على الطريق. الإيمان يعطى تأكيد الرجاء، والرجاء يعطى الإيمان بُعده الأكبر. فخطية عدم الإيمان تولد اليأس، واليأس معناه أن لدينا أمل وليست لدينا وسيلة لتحقيقه [٦٦].

يرتبط الرجاء بقيامة السيد المسيح من الأموات. فالقيامة تعنى الحضرة والقرب. إنه موجود ينتظرنا، ويحقق دعواه لنا [٦٧]. يبنى الرجاء المسيحى على قيامة المسيح.

ففى قيامته قيامة ومستقبل العالم كله. ولما كان السيد المسيح "بكرا" فى قيامته، فمعنى ذلك أن القيامة قد بدأت. إنها حاضر وواقع [٦٨]. ثم أشار مولتمان إلى العظام فى (حزقيال ٣٧: ٥). التى أعيدت الى الحياة بالرجاء [٦٩]. فالسيد المسيح المقام أنار الحياة والخلود. إن موت السيد المسيح لم يكن حدثاً شخصياً، وقيامته كذلك لم تكن حدثاً شخصياً. فإن مجد الإنسانية،

٦٦- ماقبله. ص٢٢، ٢٣

٦٧- ماقبله. ص٣٠

٦٨- ماقبله. ص١٩٣، ١٩٤

٦٩- ماقبله. ص٢٠٨، ٢٠٩

ومستقبل العالم يرتبط بالسيد المسيح (٧٠).

هذا يرتبط بوعد الله للبشرية. فإن وعده مسكونى، أى للخليقة كلها. والوعد نابع من نعمة الله المجانية للبشر (غلاطية ٣: ١٨). فوعد الله، منذ ابراهيم (رومية ٤: ١٤)، ثم لورثة ابراهيم، لأنهم شركاء الموعد (غلاطية ٣: ٢٩، أفسس ٣: ٦). فإن الوعود كلها تتم فى السيد المسيح (كورنثوس الثانية ١: ٢٠). لا يعتمد الوعد على الله الذى وعد، بل على الإنسان الذى يطيع (٧١).

وعد الله للبشر، هو الوعد الأفضل (عبرانيين ٨: ٦) فهو وعد إسخاتولوجى. والله هو إله الموعد (عبرانيين ١٠: ٢٣ و عبرانيين ١١: ١١). والذى وعد أمين. نبعت الاسخاتولوجية المسيحية من إختبار القيامة. فالاسخاتولوجى المسيحى يتحدث عن يسوع المسيح ومستقبله. لذا فإن الإيمان المسيحى هو إيمان بالقيامة من الأموات. وظهورات السيد المسيح بعد القيامة كانت باعث الرجاء (٧٢).

القيامة هنا مرتبطة بالإيمان بالمسيح، والتبرير بالإيمان. لقد مات المسيح كلية، وقام كلية (٧٣). وبر السيد المسيح، نحصل عليه فى الحاضر، لنخدم به فى

٧٠- ماقبله. ص٢١٠، ٢١٢

٧١- ماقبله. ص١٤٥ - ١٤٧

٧٢- ماقبله. ص٢٠٣

٧٣- ماقبله. ص٢٠٠

المستقبل [٧٤].

وعودة السيد المسيح، ترتبط بالوعد، وأيضا بالقيامة. فان مستقبل السيد المسيح يرتبط بمستقبل العالم، ومستقبل الكنيسة [٧٥]. ولما كانت عودته ترتبط بوعده، فالعودة هنا تعنى وصوله المباشر Parousia of Christ . أما Eschaton of the Parousia فهو إعلان السيد المسيح فى وصوله، عندما يعلن ليس فقط للكنيسة، بل لكل العالم [٧٦]. إنه موجود، وسيعلن فى وصوله. عندما يتحول العالم إلى سماء جديدة وأرضا جديدة، يسكن فيها البر (بطرس الثانية ٣: ١٣).

من هذا كانت المسيحية رحلة مع المسيح، فى قيامته، ثم عودته (عبرانيين ١٣: ١٣). هذه الرحلة، مع المسيح، هى مبعث الأمل لكل الخليقة، وقيامة السيد المسيح عربون رجاء للشرير، وللمظلوم، وللمطحون. والإنسان يحقق الرجاء، متى كان السيد المسيح محوراً ومركزاً له.

قيامة المسيح أساس لملكوت الله، فهى تحقيق الوعد [٧٧]. بسبب هذا، لا يشاكل المسيحى العالم، فهو خليقة جديدة. والملكوت يختفى تحت ما يناقضه [٧٨]. فالحرية تختفى وراء القيود، وأحداث الملكوت تختفى وراء الألم،

٧٤- ماقبله. ص٢٠٨

٧٥- ماقبله. ص٢٢٤، ٢٢٥

٧٦- ماقبله. ص٢٢٧، ٢٢٨

٧٧- ماقبله. ص٢٢٠

٧٨- ماقبله. ص٢٢٣

وحقوق الملكوت تختفى وراء بر المسيح. ملكوت المسيح يعبر عن ربوبية السيد المصلوب. لكن هذا، ليس هو الصورة النهائية.

الفرائض الكنسية صورة لخبرة الماضى، وأمل الحاضر والمستقبل. فالمعمودية هى ذلك الاختبار. والجلوس حول مائدة عشاء الرب، خبرة الماضى، فى انتظار الشركة المقبلة مع السيد المسيح فى عودته (٧٩).

إرتباط قيامة السيد المسيح بالوعد، إرتباط مصير العالم. فالمجتمع .. بكل ما يتضمن من عالم الاتصالات والصناعة والتجارة .. يحدد مستقبله فى المسيح المقام، الذى يحقق وعوده للبشرية. المجتمع المسيحى، لا يعيش لذاته، فإنه كما أن الرب، المقام من الأموات، هزم الموت، فإن المجتمع المسيحى يحمل هذه المسئولية. فإن عمل الكنيسة هو مصالحة العالم بالله (كورنثوس الثانية ٥: ١٨).

الرجاء المسيحى، لا يعطى الراحة بل عدم الراحة، لا يمنح الصبر، بل القلق. فالمسئولية الكبيرة المتعلقة بالرجاء الحى، وتحقيق الوعد، لا ترتبط بالله، لأنه أمين فى مواعيده، بل بالإنسان، الذى يطيع الله، ليحقق مواعيد الله على الأرض (٨٠).

٧٩- ماقبله. ص٣٢٦

٨٠- ماقبله. ص٣٢٩، ٢١

تعليق ختامى

حاول الكاتب تقديم ملخص صغير جداً لدراسة واسعة ضخمة لبرجان مولتمان. من هذه الدراسة، نرى الأساس اللاهوتى للرجاء للإنسان، وللعالم، أن الرجاء فى شخص المسيح يسوع، وفى الإنسان الذى يطيع السيد، ويحمل مسئولية الشهادة والخدمة.

إن التزام كنيسة الرب يسوع بالمسئولية الإلهية، وبالدعوة، يدفع الكنيسة أن تعلن الرجاء للعالم المطحون، وللإنسان المظلوم والجائع والمتألم. بل إن الإعلان وحده لا يكفى، فإن كنيسة الرب يسوع ملتزمة بالعمل لتحقيق رجاء الله ووعده للعالم.

لقد حاول الكاتب أن يقدم لاهوت التحرر من المراجع الأصلية التى قدمت الفكر. كما قدم لاهوت الرجاء أيضاً. لعل هذه الدراسة تدفع على التفكير والبحث والتعمق.

قضية التحرر، قضية أساسية فى الخليقة. فقد خلق الله الإنسان حراً. لكن ظروف البيئة والمجتمع، ونظام الدول، والشر الكامن فى البشرية، قسم الناس إلى فئات: غنىّ وفقير، سيد ومسود، عظيم وهامشى، إلى غير ذلك. وقد خلق الله العالم، وأراده مكاناً تمارس فيه العدالة، ويقرر فيه الحق والبر والسلام. ودور الإنسان (كدور الكنيسة). أن يعيد العالم إلى الأهداف الحقيقية التى خلقه الله عليها.

حدثنا الرسول بولس فى رسالته إلى غلاطية: "فاثبتوا إذاً فى الحرية التى قد حررنا المسيح بها، ولا ترتبكوا بنير عبودية .. فإنكم إنما دعيتم للحرية، أيها الإخوة، غير أنه لا تصيروا الحرية فرصة للجسد، بل بالمحبة اخدموا بعضكم بعضاً (٥: ١ و ١٣)".

فالدعوة للحرية، دعوة للأمل الحاضر والمستقبل، فى يسوع المسيح.

BIBLIOGRAPHY

Boff, Leonard and Clodovis. **Salvation and Liberation.** Translated from Portugese by Robert R. Barr. N.Y.: Arbos Books, 1979.

Berryman, Philip. **Liberation Theology.** N.Y.: Pantheon Books, 1987.

Farris, Allan. **The Antecedents of a Theology of Liberation in the Calvinest Heritage.** (unpublished Paper).

Gibillini, Rosino. **The Liberation Debate.** London: SCM Press Ltd., 1987.

Gutierrez, Gustavo. **The Power of the poor in History.** N.Y.: Ohio Books, 1988.

Gutierrez, Justavo. **A Theology of Liberation.** History, Politics & Salvation. Translated and edited by Sister Caridad Inda and John Eagleson. London: Scm Press Ltd. 1974.

Halsell, Grace. **Prophecy and Politics.** Militant Evangelists on the Road to Nuclear War. Westport, Connecticut: Laurence Hill co., 1986.

Huenemann, Edward M. **Liberation Theology.** Fad or Formula? An article in Pacific Theological Review, winter 1975 pp. 20 - 23.

Kammer III, Charles L. **Ethics and Liberation.** An Introduction - London: SCM Press ltd., 1988.

Kirk, J. Andrew. **Liberation Theology.** An Evangelical View from the Third World, England: Marshall Morgan & Scott, 1979.

Kirk, J. Andrew. **Theology Encounters Revolution.** England: Inter - Varsity Press, 1980.

هــــذا الكتــــاب

ترى ماذا يحدث عندما يلتقى اللاهوت والواقع الإنسانى ؟

هذا هو موضوع الكتاب الذى يناقش الجذور التاريخية والظروف التى أفرزت لاهوت التحرر فى أمريكا الجنوبية ، من دول العالم الثالث.

فهل يمكن أن تنتقل التجربة ليكون ثمة لاهوت للتحرير فى آسيا وأفريقيا ؟

وهل ثمة فروق بين « لاهوت التحرر » و« لاهوت الرجاء » ؟

هذا الكتاب دراسة وتقييم للدكتور القس صموئيل حبيب المعروف بجدة أبحاثه وتنوعها .

دار الثقافة

٥ . ٣٧ . ١ . ١